الجزء الثاني

(الخواطر)

(1)

أنا أبراهيم، عمري ربع قرن إلا عامين وفي كل عام من عمري تختبئ طعنات الوحدة ، أحاول ان أشارك الجميع ما يخطر في بالي والجميع يقدمون الشتائم لي بالمثل ، لا أتوقف ابداً عن البحث عن من يستطيع فهمي ببساطه وكل ما أعثر عليه هو سوء التفاهم ، لذلك تعلمت ان لا أحد سوف يفهمك إلا أذا أراد ان يسيء فهمك ، كنت أحب الرسم جداً وأحب ان الون كل ما هو حولي بأي لون تشتهيه عيني ، ولكنني ولسوء الحظ لم أستطع إلا ان الون في النهاية سوى جدران السجن الذي وضعني فيه العالم ، غرفة صغيرة في منزل كبير في مدينة صاخبه ، قررت أن أصرف معظم وقتي في صناعة طريقة تفكير تليق بالمأزق الذي وضعت به ، فحصنت نفسي بالتعليقات التهكمية وقتلت أرتباكات يدي بكل أنواع السجائر المصنوعه يدوياً ، ثم غلفت تقلصات وجهي اللا أرادية بالأبتسامات المكبوتة التي تخبر المحيطين بي بأنني اسامح ولا أنسى الاذية ، فكررت أخطائي بقدر ما كرر المحيطين بي أخطائهم معي ، أسئت لأمي كثيراً ولطالما حاولت تحويل كل قناعاتها إلى مجرد أقاويل قابلة

للمزايده ، كثيراً ما كانت تلاحقني بأتصالاتها ليلاً ، أو في ساعات الصباح الأولى حين أتاخر ودوماً ما كنت أتهرب لأنني أريد ان أخبرها بشكل غير مباشر أنني قادر ان اكون وحيداً دون أن اتألم ، واليوم وبعد ما وئدتني كل أحضان الأصدقاء لأنني جاف وممتلئ بالسوداوية والرغبة الملحة جداً في تشويه أي صورة ناصعة ، صورة عائلية صورة أصدقاء صورة تذكارية ، لم يعد أحد يحاول ان يقترب مني وبقيت أمي الوحيدة التي تحيط بي وتخبرني بأستمرار بانني الأفضل على الأطلاق ، كل من حولي حولني لما يخشاه هو في نفسه ، حين أتحدث ينتظر الجميع فواصل حديثي ليرموا تعليقاتهم الجارحة وحين أتوقف يتأمل الجميع جسدي ليدركوا ببساطة الخلل المطبعي في صناعتي وحين أضحك يعد الجميع أسناني المشوهة ويخبروننني بأن ضحكتي مملة ومكررة ومبتذلة ، واليوم أنا لا أضحك إلا عندما أكون وحدي وكثيراً ما أضحك قبل النوم ، وأحياناً تخبرني أمي أنني اضحك وأنا نائم "الأنسان يفعل في نومه دوماً ما يخاف من فعله امام الناس" كل من أعرفه يبحث عن دولة تستقبل ذكائه وأنجازاته العلمية وأهله يستميتون لتقديم كل اموالهم التي سرقوها من جيوب الفقراء ليغرقون العالم بالمزيد من اللصوص ، إما أمي فهي لم تسرق شئ سوى ضحكتها التي تقدمها لي حين تشعر بأنني خائف من الغد و براءتها التي سرقتها من أيدي الزمن كلما حاول جاهداً ان يخط الألم في

وجهها على هيئة تجاعيد وحين أقول لها أنني أريد السفر مثل الجميع تقدم لي كل ما سرقته مساومتاً على بقائي ، لطالما ظن الجميع بأنني سيئ وأضمر لهم السوء ، ولكنني مندهش كيف أستاطعوا ان يروا أنعكاس أنفسهم على ملامح وجهي وهم يخطئون حتى لفظ أسمي ، كل ما أقتربت من أحد اسارع باخباره بأنني هادئ ولطيف لا أكن له حقد أو كراهيه ، يهز لي راسه ويخرج من جيبه أصبع ديناميت ويزرعه في فمي ويقول لي "احتفظ بالباقي" وبأعتبار الجميع قد زرعوا المتفجرات في فمي ، فمن الخطأ ان يتوقع أحد مني ان أمر في اي شارع دون ان أحدث به كارثة *

(2)

هي لم تسلبُ مني شيئًا، لم أجلبُ لها زهورًا يوما ما، ولم أشتري لها عطرًا، ولم أهديها كتابًا قط، ولم أشاركها قهوةً، لم تسلب مني شيئًا أبدًا لكنّها سلبت قلبي، وهذا أعظم ما يسلبُ الإنسان من الإنسان..

(3)

منذ كنت صغيراً كان الجميع يعاملني بقسوة، بما فيهم أبي وفي لحظات كثيرة كنت أتلقى الصفعات،ربما كان يعرف أنني بحاجة للكثير من التهذيب، فلم يرى يوماً بي سوى كتلة من اللحم والدم قادرة على أطلاق الترهات، لم يكن يطيق سماعي بقدر ماكان يمقت سماع نفسه يتكلم، فخضنا سوياً سنوات من الصمت إلى الحد الذي أكل الصمت أبي، وأفترقنا، في الحقيقه كانت أقوى الصفعات.حاولت الفرار بنفسي خارج سور المنزل، أنطلقت حيث يقطن الهائمون في نكسة الروح و أرتجافات المعنى، حيث يجلس الحشاشون ايضاً، أقلها لم يكونوا يصفعون احداً إلا أنفسهم الهالكة. عثرت في نزواتهم على الكثير من المعاني التي أرصع بها تاجي الوهمي وفي ضحكاتهم الطويلة مسحت طفولتي الصامتة ، ورحت امشي حاملاً تاجي الوهمي في كل شوارع المدينة باحثاً عن اتباعي ، عن الرعية ، تلك ذاتها التي كانت تردد الشعارات حينما يتجمع الملايين من الحمقى في الساحات.لم يتبعني أحد ، ولم يفكر في تقمص ذاتي شخص قط ، فقررت ان أستمر في الدوران في ذات المتاهة ، فلم ينفك

صاحب المتاهة يشيد لي الجدران تحت جمجمتي ، وقد أقتنعت انه لامجال من تحطيم هذه الجدران وربما من المستحيل تماماً معرفة ماذا يدور ورائها ، فهي تنخر رأسي ، تنخر رأسي فقط ..اليوم كل ما اعرفه ، انني بحاجة للمزيد من الصفعات ، بحاجة للكثير من الذين قادرون على نطق الأحرف الملتهبة بحرارة المعنى وسخط الحقيقة على ما يدور من نفاق أعتقد انه تحول الى أدمان ، هذا الشعور الجنوني الذي يحاصرك ميتاً لا محالة من شدة الحكة في راسك حتى ترتوي من سرعة الصفعة وقوة الصدمة،أنه هو. كل ما عرفت انسان في هذه المدينة المهشمة ابتدأ بأطلاق الألقاب علي أنا، القاب منها ما يعرفها ومنها ما أستطاع تمييز معناها، ولكنها الوحيدة المتاحة في قاموسه وهاهو يستخدمها ضدي في كل المحادثات، أنها المزيد من الصفعات.أخذت اغراضي وقررت الرحيل،حيث لا مدينة تتسع لصوتي ولا شوارع تفتش عن تاجيلي والمتاهة التي تدور في راسي وتبدل جدرانها كل ليلة باتت جزء من المعجزة الكبري التي منحني أياها أبي. إلى كل من يبحث عن مساحة يلقي بها بظله الثقيل، فأنا ما زلت في حاجة للصفعات، فلا صفعة اليوم قادرة على أيقاظي من هذا السبات.

(4)

عند ولادتي ، كان جسدي صغيرًا جدًا بطريقة مُلفتة الأمر الذي جعل كل مَن ينظر إليَّ يتساءل: كيف يتنفس هذا ؟!

لم يلبثوا إلى أن قال الطبيب: إنه يعاني مشكلة في التنفس ، وقد تستمر سنوات !

قضيت نصف طفولتي أُحارب برئتين مُجهدتين لأخذ بعض الأكسچين " الذي هو حقي "من العالم ..

حتى الآن لم يتوقف جسدي عن خوض تلك الحرب وإن أُضيف إليها المزيد ، كضغطٍ غير مُنتظم أو ضربات قلبٍ مضطربة ، لكنني لم أستسلم أبدًا في محاولات اِلتقاط أنفاسي ..

لذا فالحروب ليست جديدة علي " حرفيًا " أعرفها منذ خُلقت ، وأعرف عن حربك ضد نفسك ..

عزيزتى .. وكل ما لديّ..

في حياتنا ما يكفي من المغامرات والإثارة ، أنتِ تركضين من وحدتك طوال الوقت ، تُخبئين إشارات حُزنك عن كل مَن يحاول الاقتراب منكِ ، لا تُفصحِ عن تعبك وتتحاملِ على قلبك إن عَلت نغزة فيه.. أنا أعرف كل هذا ، لكن هناك ما لا تعرفيه انتِ ..

أنتِ لا تحتاجِ أن تصرخِ بتعبك معي ، ولا تحتاجِ أن تخبرينى عن عدم قدرتك على التأقلم ، ولا تحتاجِ أن تكتبِ إليّ عن حزنك كل ليلة ..

ربما لا يزال جسدي صغيرًا ، لكن قدرتي على خوض الحروب باتت أكبر من ذي قبل .. دعِني أُمسك يدك وأشدّ عليها بكل قوتي ، ضعِ قلبك بين راحتَيَّ وأنت على يقينٍ أنه بأمان ..

يكفي ما تخوضيه من حروبٍ تجاه العالم ، اتركِ لي ظلامك ، أنا سأتكفّل به ..

أنا هنا لأجلك ..

(5)

جلدي البارد، الغربة المخبئة تحت جلدي البارد، قميص الصوف الذي نسجته لي جدتي وغطّت به جسد الكلب الراقد في حينا القديم، وسألتها " ألم تقولي بأنك تنسجين هذا القميص لي؟"

وردت بأن الكلب يستحقه أكثر مني لأنه كلب ولأنه بارد وسألتني إن كنت أدرك معاناة أن يكون الشخص كلباً و بارداً في نفس الوقت؟، كنت أدرك معاناة أن يكون الشخص بارداً فقط، لا يوجد غطاء يُدفئه، لا يوجد وطن يدفئه، لا توجد أم أو إمرأة تدّعي بأنها أم تُدفئه، كنت أدرك معاناة أن تكون المرأة أُماً لأي شئ، أُماً للحزن، أُماً لكل رجل تحبه، لكل طفل تراه في الشارع، للأشجار، للأغاني الحزينة، إلا أن جدتي فعلت ما فاق مدى أدراكي، عندما علمتني كيف يمكن أن تكون المرأه أماً حتى لكلباً باردا ًيرتجف في الشارع، ومنذُ ذلك اليوم، ما عُدت أصدق جدتي حين تقول لي هذا القميص لك، وصرت أعرف أن كلباً أخراً سيكون يرتعد من البرد في الخارج وأنها سترمي القميص فوق جسده، وتربت على رأسه بعطف فيرفع لها ذيله شاكراً، ويبدو الكلب كرجل أنيق يرفع قبعته وينحني أمام إمرأة جميلة، وفي

يوم ماتت جدتي تبعتها كل الكلاب إلى قبرها وهم يرتجفون جميعاً من شدة البرد حتى أني شعرتُ بشماتة لأنهم سيصبحون مثلي، سيشعرون بي، لقد كانوا يأخذون قمصاني ، وذلك اليوم أخذ الله قمصاني ، ربما هو يشعر بالبرد مثلنا، ربما يشعر بالبرد أكثر منّا، ولذلك، أخذ الخيّاط.

(6)

كل التناقضات اللي جوايا عاملين هُدنة مؤقتة عشان مانهارش، وأنا بتفرج ع العالم بلامُبالاة شديدة، أو بهدوء شديد، أو ببرود شديد.. بثقة القائد المنتصر، أو بذهول المجاذيب.. بخرُج من ذاتي الضيقة للمجموعه بسهولة جدًا، و بخرج برة باب أوضتي بمعجزة تُعادل في آلمها مُعجزة قبض الروح، بحسِد آدم كونه كان بيمشي في طرق مش محسوباله، بحقِد على آدم كونه من غير أب و أم، و بلوم على آدم إنه جابني هنا!. فاشل، مع إني بعرف اعمل كل حاجة تقريبًا، بعرف أقطّع قلبي و أقسمه ع الكُل، بعرف انتصر ضد وللضُعاف، بعرف أخلق حياة م العدم وبعرف أقتل بنفس الاحتراف، بعرف أبتسم عند الهزيمة، وبعرف أعفو عند المقدرة، وبعرف أظلم و أتظلم و أعرف أخون و أتخان...بعرف أخسر البشر بهدوء شديد من غير آلم، بعرف أعمل اللازم مهما كان من غير ندم، بعرف العب بالكلام، بعرف أشوك الناس من نفسها، بعرف أشكِك الناس ف نفسها، بعرف أمشي على كل الحبال بثبات جراح، بعرف أقف في المساحة الآمنة و أستعرض شجاعتي، بعرف أقف ع المسافة الآمنة و استفز الكلب، بعرف أمرض بالوحدة أو بالقلب...بعرف أمسك دموعي على نفسي عشان انا بطل من ورق بيبوش، بعرف أبكي

على أوجاع صحابي و مابخبيهوش، بعرف أخبي دموعي في الفوطة بحكمة أبويا في إخفاء الضعف، بعرف أقول إن اللي على خدي مطر بحكمة أبويا في إنكار الضعف، بعرف أمنحك الدفا و أنا برتجف، و أقدر أمنعك تخاف و أنا بترعش

أنا في إنهيار مستمر، ودايم، بنزل لتحت بتأثير أقوى من مجرد عجلة جاذبية، تحت الضغط، تحت السما، تحت النظر، تحت عين الدولة الواسعة وِسع قبيح غير مناسب، و تحت كل ألواح رخام حبايبي بتحاسب، واقف من زمان و حركتي دي كادر مُتحرِك وراه، أو قصور ذاتي، بحب ناس كتير جدًا عشان بيفهموا سكوتي، عشان بيسمعوا سكوتي، بحب ناس كتير جدًا بس اليوم صغير، بحب ناس كتير جدًا وقلبي ضيق وزحمة، بكتم نفسي في لحظات الوجع، و بعاني، بسافر لآخر الدنيا في مكاني، بمشي في مليون اتجاه، قلبي ناقص و الكمال لله، قلبي قبيح و الجمال ليكي، بتعرفي تشوفيني على حقيقتي من غير خدوش، من غير رتوش، بتمسكي قلبي من ايده اللي بتوجعه، بشوف الجمال في الحتت الناقصة اللي بتمر مرور الكرام، عكاز نجيب محفوظ، الإنهاك في صوت أحمد خالد توفيق أشعار فؤاد حداد، ابتسامة ساره، عيون مريم، إيدك أو طبطبة على كتف في عزا المرحوم، بعرف أتلاشى بسهولة و بعرف أدوم.

(7)

جئت لمدينة السكاكين لأبحث لنفسي عن عمل، بستره سوداء اللون وبنطال أزرق ممزق في حقيبتي ، "القاهره" كما يحب الجميع أن يسميها أو "بنت المعز" كإسم مدلل لمدينة عملاقة كالمتاهة ، هي مدينة رثة جداً ومهما حاولوا تجميلها فلن تصير جميلةً أبدا ، هكذا رأيتها بعيون ألفت الجمال والأشمئزاز في مفهومها الشامل ، فالجميع في جيبه سكين ، السكاكين في كل مكان ، الصراعات هنا بالسكاكين والعلاقات بالسكاكين ، والحب ايضا ًبالسكاكين حتى إذا هم العاشق ليقبل عشيقته ستظنه كما لو أنه إشتباك بين اثنين لأنها بالكاد ستسمع صكيك سكاكين تحتك ببعضها وقت ستلتقي الشفاه ببعضها ، عليك أن تكون حذراً جداً هنا من الجميع، فالجميع مجمع على أن يمتلك سكيناً حتى وأنت في سيارة أجرة تجد السائق ودود وطيب جداً لكنه لغرض ما يخبئ سكيناً مسنونا تحت المقعد ، حتى وأنت في الطرق المخيفة في الشارع الرمادي العملاق يزحف القطار كثعبان حين يلتفت و كسيف يذبح الأرض حين يستقيم ، الموتى أيضاً بحوزتهم سكاكين ثبتت على شكل صليب فوق شواهد

قبورهم، الأطفال بالشفرات الحادة والنساء بسكاكين الأنوثة الفتاكه، ورجال الشرطة بسكاكين القوانين الفاسده، من المؤسف حقاً أنني لم أجد هنا أي عما البته ، جئت الى مدينه السكاكين لكنى لست سكيناً

انا مجرد جرح قديم

(8)

أنا مريض بالفقد لأنني لم أعد أستطيع النوم ،أسعل كثيراً لكي أشعر أن صوتي ما يزال معي ،أعاني من الزهايمر منذ فترة لهذا السبب أنسى حزني في البيت ،لا أتذكر أحداً سواي

أفكر وأثرثر وأشعر عبر تطبيق معزز يفهم مزاجي أكثر من أمي، أحك فروة رأسي من الضجر وأكتب أحياناً بإحساس روبوت يقنعني في كل مرة بأنه أنا ،أنا مريض جداً أكره الذهاب إلى المستشفيات لكي لا أسمع تنهدات أصدقائي القدامى ينادونني من ثلاجة الموتى، اسمي أبراهيم ولديّ أكثر من لقب مستعار ،عمري ربع قرن إلا عامين ،وقلبي له جيب يشبه الحضن في الداخل ،أتأبط كل الذين أحبهم لأضمهم إلى قفصي الصدري نكاية بالذين هربوا يوماً من بين ضلوعي

طولي ١٦٥ مترا ،كنت قزماً لا أحد يلمحني ليلقي عليّ التحية ،حواجبي دائماً مرفوعة إلى أعلى كي لا يدهسني أحدهم بالخطأ ،في الزحام أربط خيوط الأحذية للعابرين كنوع من لفت الانتباه ،كنت نحيلاً جداً لفرط هشاستي كانت تحملني أمي في دلو على رأسها لتعبر بي ساقية القرية ،تملأ جيوبي بالأحجار كي لا

تهزني الريح ،وأحياناً تربطني بخيط من خصري إلى ردائها وتهمس: هذا ليس خيطاً بل وريدي... لا أريدك أن تنقطع من نبضي... لأنك هيما

تعلمت مهارات كثيرة في صغري، حتى أني كنت أقلد الضفادع في غوصها وابتلع الطحالب لكي تستأنف حياتها الفطرية في أعماقي، أصمم نبلة من المطاط أحشوها بلعناتي والجيران الذين يوبخونني في الصباح أحطم زجاج نوافذهم في الليل كي لا أنام مهزوماً ،أمتطي ظهر حمار أدلعه باسم هيمه أظل أقنعه طوال الطريق بأنه لا فرق بيننا، عدا شيء واحد بأنه لا يرتدي ملابس ممزقه مثلي ،أنزل تحت شاهق جبلي لأقتطع قيلولة داخل كارتونة على مرمى قناصون لا ينصتون لشخيري ولا يزالون يراهنون على ثقبها بالطلقات ،بينما أنتظر رصاصة حانية تنتزع قلبي علها تأخذني إلى مكان ما ،في رأس السنة وهو بالمناسبة اليوم الذى سانتحر فيه ،ابتسم لحارس المقبرة مثل بابا نويل ،أسأله في كل مرة هل لديه قبراً على مقاسات طفل كهل يتطابق مع هيكلي العظمي ،كنت كلما سمعت عواءً يتهدج في الخارج قلت هذا موتي ،أذهب إلى النادى بانتظام لتصفية حسابي مع "سيا فورلر" التي كادت تنتحر من أجل صديق ولا تزال تلمح لي في أغانيها بأنه أنا ،أفتعل عراكاً مع الكرة أعتبرها أعدائي الطيبين فلم يعد لي أصدقاء حقيقيون سواها ،قبل قليل اشتريت قداحة

مع أنني لا أدخن ،أردت أن أحرق العالم وأتدفأ بآهاته ،أردت أن أبكي مثل شجرة عانس تذرف أوراقها الأخيرة لكي تودع روحها إلى الأبد.

***